المحاضرة الخامسة
المداخل السوسيولوجية لدراسة المشكلات الاجتماعية

و يعد هذا العرض للمداخل غير السوسيولوجي في تناول دراسة المشكلات الا جتماعية يمكن لنا ان نتناول بعض المحاولات السوسيولوجي في دراسة المشكلات الاجتماعية طبقا لوجهة نظر بعض العلماء الاجتماع ويمكن أن نعرض لبعض هذه المحاولات في ضوء المداخل التي اقترحوها ومن اهم هذه المداخل ما يلي .

1- مدخل الباثولوجيا الاجتماعية

دخل مصطلح الباثولوجيا الاجتماعية من منظور يستلهم الداروينية في علم الحياة في أجزاء مماثلة بين الكائن العضوي و المجتمع و إذا كان لابد من وضع تصور للمجتمع يساعد على تحليله كما هو الحال بالنسبة للكائن العضوي فانه يجب نشبيهه بالكائن العضوي من حيث تمييزه بحالة طبيعية من الصحة و ظروف معتادة و ان أي انحراف عن هذه الحالة طبيعية يعتبر باثولوجيا و مرضى المجتمع يسبب الابتعاد عن ما يعد طبيعيا و معتادا للمجتمع .

كما لاشك إن علم الإمراض مستعار من علم الطب ، حيث كان وما زال يستخدم للإشارة إلى علم أو دراسة المرض، أما استخدام هذا المفهوم في علم الا جتماع، فقد كان يهدف إلى الإشارة للظروف الاجتماعية المرضية التي يخلقها وينميها النظام الاجتماعي ، فالظواهر المرضية الغير سوية ما هي إلا أمراض اجتماعية تخلق العديد من المشكلات الاجتماعية ، وتمتد جذور هذا المدخل إلى كتابات علماء الاجتماع الأوائل أمثال أوجست كونت وهربت سبنسر ، ثم اخذ هذا المدخل أبعادا متعددة على أيدي الجيل الأول من العلماء الاجتماع الأمريكيين .

ولكن من هو المريض ؟ وما مصدر المرض ؟ هل المجتمع هو المريض أم الفرد ؟ و هل الأفراد هم مصدر المشكلات الاجتماعية آم المجتمع هو مصدر المشكلات الاجتماعية أم المجتمع هو مصدر المشكلات الاجتماعية؟

على أية حال يقوم هذا المدخل عل افتراضين متناقضين الافتراض الأول هو أن الأفراد هم مصدر المشكلات الاجتماعية . فالأفراد هو المرضى وليس المجتمع فالمجتمع يتطور بطريقة ايجابية وان الظروف الاجتماعية التي تضعف هذا التطور يمكن تعريفها على أنها أشكال من المرض الاجتماعي الذي يحتاج إلى ع لاج . حيث عرض **هربرت سبنسر** في كتابات فكرة تشبيه المجتمعات بالكائن العضوي . فالمجتمعات شأنها شأن الأفراد يمكن آن تنمو بطريقة غير سوية وإنه يمكن تشخيصها ووصفها في ضوء معيار الصحة.

أولا.المشكلات الاجتماعية في ضوء الافتراض الأول من هذا المدخل ترجع إلى وجود الضعفاء و العاجزين من الأفراد حيث ترى الباثولوجيا الا جتماعية إن المجتمع يتكون من أفراد ، وان هؤلاء الأفراد يرتبطون معا بعلاقات اجتماعية ،وان عدم قدرة الأفراد على التكيف في العلاقات الاجتماعية هو ما نعني به الباثولوجيا الاجتماعية.

ثانيا. المشكلات الاجتماعية في الافتراض الثاني هو آن المجتمع هو المريض وليس الفرد،ولعل جذور هذا الافتراض ترجع فلسفة جان جاك روسو حيث يرى آن الإنسان الطيب بفطرته،وان حياة المجتمع قد غيرت فطرته وجعلته يميل من الخير إلى الشر ، ومن التلقائية والصراحة إلى الزيف والرياء والنفاق ،فالإنسان في عهده ا لأول كان يعيش وحيدا ولا يعرف اللغة والكلام ولا يمتلك شيئا ،ولا يخضع لحكومة معينة ، ولا يفهم معنى الدين وليست له مثل عليا يسعى ورائها ،ولكنه رغم هذا الجهل بالنظم الاجتماعية كان سعيدا هنيئا ،ذلك لأن كل ما هو طبيعي حسن وكل ما هو من صنع الإنسان فاسد.

و يجدر الإشارة هنا إلى إن أراء **روسو** لا تتفق مع فلاسفة عصره مثل أمثاله فولتير و كون درسيه .....الخ حيث أن هذه الأفكار لا تليق بما ارتفع إليه الإنسان من علم وذكاء وقد سخر فولتير من هذه الآراء في خطاب أرسله إلى روسو وقال فيه " لو عاد الناس بحاجة إلى البربرية التي تتمناها لساروا على أربع ..."، و قد تناول عدد كبير من العلماء قضية أن المجتمع هو المريض وليس الفرد وعلى سبيل المثال ايريك فروم و هربورت ماركيوز و وتشارليزيش و فيليب سلاتر....الخ.

حيث يرى **ايريك فروم** في كتابة المجتمع العاقل أن المجتمع المريض و الثقافة المريضة لابد وأن تخلق أفرادا مرضى ، وانه حينما يكون المجتمع عاقلا فإنه يساعد أفراده على نمو عقولهم وإدراكهم إلى درجة من الموضوعية تسمح لهم بأن يروا حقيقة أنفسهم وحقيقة الأخريين وحقيقة الطبيعة إنه مجتمع ينمي أفراده إلى درجة من الاستقلال تمكنهم من معرفة الفرق بين الخير والشر ، وتحديد إختياراتهم الشخصية وبالتالي انه مجتمع ينمى في أفراده القدرة على الحب لأطفالهم ،جيرانهم،لأنفسهم...الخ ومع ذلك يحتفظ بإحساسه بالفردية والأ مان ويستطيع أن يعطي الطبيعة بالابتكار و ليس بالتقدير .

ونستخلص من ذلك أن المشكلات الموجودة في قلب المجتمع قبل أن تكون موجودة في قلب الأفراد ومن ثم فقد شخص هؤلاء العلماء مشكلات مجتمعهم على أنها تنتمي إلى قلب المجتمع المريض في هيكله البنائي .

ويتفق أنصار هذا المدخل على أن علاج المشكلات الاجتماعية يكمن في تغيير قيم الناس و أن الحل الطبيعي عندهم يكمن في التربية الاجتماعية . وعلى قدرة النجاح من خلال عمليات النشأة الاجتماعية- في تزويد الأفراد بالمعايير الا جتماعية الأخلاقية ،يمكن الحكم على أفراده بالمرض أو السواء . فالمرض فردي واجتماعي في أن واحد ،وأن المشكلة الاجتماعية هي محصلة الباثولوجيا فردية وظروف اجتماعية مرضية تضافرت معا في نسيج واحد قوامه سوء التكيف سواء في أداء أو في العلاقات الاجتماعية التي ينعكس جميعها عن البناء الاجتماعي و وظائفه الأساسية.

2.مدخل التفكك الاجتماعي

لا يعبر التحول من مفهوم الباثولوجيا إلى مفهوم التفكك الاجتماعي عن أي تغير جوهري في المشكلات الاجتماعية التي يجرى تحليلها فما كان يعد بمثابة شواهد على الباثولوجيا الاجتماعية من قبل تعتبر اليوم مؤشرات على التفكك الا

اجتماعي، و يسلم بنفس الشيء بالنسبة للمشكلات الأخرى فان ما كان من قبل يطلق عليه تنظيم رغم ما قد يعتريه من تغير و إن الانحراف بعيدا عنه يعني تفكك اجتماعي.

و هناك مشكلات تواجه مفهوم التفكك الاجتماعي منها أنه رغم ما يدعيه المفهوم من ميل إلى التحليل العلمي إلا أنه يضفي حكما من أحكام القيمة على الحياة الاجتماعية و أن التسليم بان التنظيم مثل تسليم الباثولوجيا بالحالة المعتادة للكائن العضو يعني ضمنيا أن مؤشرات التفكك مع قد أمكن فقط ملا حظتها في المجتمع عندما حدث التفكك الاجتماعي .

و مثل هذا المنهج يحيل من الضروري التسليم بأنه من الممكن قياس أي زيادة في معدلات المؤشرات المتباينة على التفكك غير أن هناك صعوبة تواجه الحصول على بيانات دقيقة حول المعدلات السائدة و هكذا فإن مفهوم التفكك الاجتماعي لم يستطع تجنب مشكلة القيمة التي كانت أيضا تعيب مفهوم الباثولوجيا الاجتماعية .

حيث ينطلق هذا المدخل أساسا من بعض الأفكار والتوجهات تسلم بأن الحياة ا لاجتماعية تسير بشكل منتظم وفق مجموعة من القواعد المعيارية التي تحكم سلوك الأفراد و الجماعات في المجتمع .

و هذه القواعد تحدد السلوك المسموح و المفضل والسلوك المستهجن. وهناك مستويات من هذه القواعد المعيارية،و هي ما تعرف بالقوانين و التي تفرض عقوبات معينة تبدأ بالغرامة أو السجن المؤقت أو السجن مدى الحياة . وقد تصل إلى حد الإعدام في حالة انتهاك هذه المعايير.

وهناك قواعد معيارية أخرى ولكنها أقل في قوتها من القواعد القانونية وهي متمثلة في العادات والتقاليد والأعراف و التوقعات المختلفة ،فنحن نتوقع مثلا أن تحب الأم طفلها ، وأن ينفذ رجل الشرطة القانون ،وأن يصل العامل إلى مكان عمله في الموعد المحدد...إلخ ،من هذه التوقعات التي لا نلاحظ طالما أنها تتمشى مع قيم المجتمع المتعارف لها . وهذه الشبكة من التوقعات المسموح لها اجتماعيا من السلوك الشخصي ،تعرف بما يطلق عليه عالم الاجتماعي بالتنظيم الاجتماعي وتنشكل بواسطة أفراد المجتمع وتؤكد الأداء الفعال لوظيفة المجتمع في مواجهة التغير السريع يتغير المتوقع . ويتصرف الناس عادة كما يتوقع الآخرون منهم أن يتصرفوا وفقا للمعايير الأخلاقية التي تحدد الصواب والخطأ والمستحسن و المقبول ..الخ.

وعلى أية حال فإن التفكك الاجتماعي يرجع إلى العملية الأكبر وهي التغير الاجتماعي،فالتغير الاجتماعي كما يقول روبرت بارك يؤدي إلى التفكك الاجتماعي، فكل شيئ في حالة تهيج ، وكل شي يبدو أنه عرضة للتغير ، وان أي شكل من أشكال التغير ينتج عنه تحول وتبدل يمكن قياسه في روتين الحياة الاجتماعية ويميل الى ان يحطم العادات التي يقوم عليها التنظيم القائم ، وكل وسيلة جديدة تأثر في الحياة الاجتماعية والنظام الاجتماعي لها تأثيرها الواضح في التفكك وكل اكتشاف جديد ، وكل اختراع جديد ، وكل فكرة جديدة تعتبر شيئا مزعجا وقلقا . ومن الواضح أن أي شيئ يجعل الحياة أكثر جاذبية وتشويقا يعتبر خطرا على

النظام القائم.

فالتغير الاجتماعي يؤدي إلى غباب الانسجام القائم بين الأجزاء المكونة للبناء الاجتماعي والذي كان يعمل على توازنه ، وفقدان الانسجام يؤدي إلى حدوث التفكك الاجتماعي الذي يؤدي إلى خلق ممارسات جديدة لم تكن موجودة من قبل و اختفاء الممارسات القديمة لعدم ملائمتها مع الظروف المستحدثة و من هنا تظهر المشكلات الاجتماعية .

و لذا فالباحث الذي يحاول فهم المشكلة في ضوء مدخل التفكك الاجتماعي عليه أن يحدد نقطة الصفر اي تلك النقطة التي حدث فيها تغير الاجتماعي التي سبقت حدوث التغير الاجتماعي و ان يبحث بتأني فترات الاستقرار الاجتماعي التي سبقت حدوث التغير المؤدي إلى التفكك و ما هي الظروف التي أدت إلى خلق هذا التفكك و أدت بالتالي الى ظهور المشكلة التي هو بصدد دراستها و من التساؤلا ت التي يسعى للاجابة عليها مايلي .

- كيف كانت القواعد و الممارسات التقليدية ؟
- ما نوعية التغيرات التي جعلت هذه القواعد و الممارسات غير فعالة ؟
- أي من النظم القديمة قد انهار؟ و ما مدى هذا الانهيار ؟
- و ما هي الأسباب الجوهرية التي أدت إلى انهياره؟
- هل التغير الاجتماعي مستمر أم يحدث على فترات متباينة و ما هي سرعة التغير ؟و في أي اتجاه يسير و في أي اتجاه يسير ؟و ما هي نوعية هذا التغير تلقائي أم مخطط؟
- ما هي الجماعات التي ترفض هذا التغير ؟ و لماذا؟و ما هي الحلول البديلة التي تقترحها؟
- كيف تتوافق هذه الحلول مع اتجاه التغير الاجتماعي ؟
- ماذا يمكن أن يحدث للنظم الاجتماعية التي تحظى بالقبول في الوقت الحاضر عندما يعتبرها التغير ؟

و إذا كان التغير يؤدي إلى حدوث تغير في العلاقات الإنسانية في المجتمع بما يؤدي إلى ظهور مشكلات اجتماعية إلا انه بمرور الوقت يعود المجتمع إلى تنظيم جديد يوافق الأوضاع .

فالتحضر عادة يؤدي إلى ضعف في العلاقات بين الناس و المدينة في البـ لاد غير المصنعة تنقسم إلى قسمين كبيرين قسم تطورت فيه العلاقات الاجتماعية فزاد التباعد بين سكانها و قسم آخر لازالت العلاقات الريفية مسيطرة عليه إلى حد كبير فهو بذلك أكثر تماسكا و ترابطا من القسم الأول و مع ذلك فان ظاهرة التفكك الاجتماعي السائدة في بعض أحياء المدينة تقابلها ظاهرة الترابط التخصصي.بين ذوي المهنة الواحدة و أو ميولات أخرى أي يكون هناك ارتباط تخصصيا أكثر من الا رتباط الوظيفي .

و التفكك الاجتماعي بصفة عامة يشير إلى عدم قدرة النسق الاجتماعي على تأدية وظائفه في إشباع احتياجات أعضائه حيث لا تحقق أهدافه الجمعية واحد أو أكثر من متطلبات النسق الوظيفية و من مظاهر فشل المجتمع أو النسق الا

اجتماعي في أداء وظائفهما يلي .

- عدم التنشئة الاجتماعية السليمة للأطفال داخل الأسر .
- فشل الدور الديني الذي تؤديه دور العبادة .
- فل المجتمع في أداء وظيفته الاقتصادية من حيث الإنتاج و توزيع الثروة .
- فشل المجتمع في تحقيق النجاح السلبي من حيث منع الجريمة و الانحراف الا جتماعي
- ظهور أنماط من السلوك الاجتماعي غير المتمسك بها .
- التوترات الشخصية التي تسيطر على النسق و لا مكن التحكم فيها حيث تتخذ قنوات معينة .
- الارتباط غير المتوافق بين النسق الاجتماعي و البيئة التي تقع فيها سواء من حيث ضبطها أو التكيف معها.
- عدم تجانس العلاقات بين الأعضاء و لو إلى الحد الأدنى الضروري للأنشطة ذات القيمة .